

«الفكر العربي» و«القديس يوسف» تنظمان «أوزان اللغات في العالم وموقع اللغة العربية»



خلال الندوة

اللغة، خصوبة الشعوب التي تتحدث بهذه اللغات، الموقع الذي تحتله على شبكة الإنترنت، الوزن الاقتصادي للبلدان التي تتكلم هذه اللغات أيضا.. إلخ. ويختلف موقع اللغات وترتيبها تبعاً للعامل المستخدم، فإذا أخذنا في الاعتبار عامل الانتشار الجغرافي، تحتل اللغة العربية المرتبة الثالثة كلغة رسمية معتمدة في ٢١ بلداً تمت كتابة مختلف المؤلفات الأدبية بها، وتمت الترجمة بشكل كبير منها وإليها، وإذا أخذنا عامل التعليم في جامعات العالم بأسره، تحتل العربية المركز التاسع.

ورأى أنّ عامل «عدد الناطقين باللغة كلغة أولى» الذي حدده المقياس اللغوي بأكثر من ٥٠٠ ألف شخص، يستبعد اللغة العربية، علماً أنّ عدد اللغات التي ينطق بها هذا العدد يبلغ ٥٦٣ لغة، وميز «بين اللغة العربية الفصحى والعربية المحلية أو العاميات»، وبناءً على هذا التمييز أوضح أنّ «استبعاد» العربية في هذا العامل يعود إلى كونها اللغة الرسمية في ٢١ بلداً، ولكنها ليست اللغة الأم في هذه البلدان، ولا حتى اللغة الأولى التي يتحدث بها السكان الذين يتكلمون العاميات؛ وعلى هذا المقياس نجد اللغة العربية بلهجاتها المختلفة في مراتب متأخرة، وعلى سبيل المثال تأتي العربية الخليجية في المركز رقم ١٣٦، والعربية المشرقية في المركز ١٣٨، أما العربية المصرية فتحلّ المركز ١٥٦، والعربية الجزائرية في المركز ٢٣٥، والعربية المغربية في المركز ١٨٥، والعربية السودانية في المركز ٢١٧.

وطرح كالفّي «ثلاثة أسئلة تتعلق باللغة العربية: الأول حول كيفية الانتقال إلى اللغة العربية في جميع البلدان التي ترغب في تغيير نظامها التدريسي، فما هي اللغات التي سيتم اعتمادها ولماذا؟ وهل هذه البلدان مجهزة لذلك؟ وهل لدينا مدرسون ومدربون قادرين على القيام بهذا العمل؟ والسؤال الثاني هو: أي «عربية» ستستخدم؟ الفصحى أم العامية؟ محذراً من اختراق المحليات الوطنية العربية، صيغ اللغة العربية المكتوبة، أي اختراق اللغة العامية باللغة العربية المكتوبة، أو تخريب اللغة العامية لهذه الأخيرة كما هي الحال في بعض دول المغرب العربي. أما السؤال الثالث فهو: هل نحن في صدد دراسة اللغة العربية ككيان واحد؟ ليطرح السؤال مجدداً: هل نحن نتحدث عن اللغة نفسها؟ من الواضح أنّ الإجابة سلبية، فقد اعتمدنا منظوراً يحدد ما يشابه عربية واحدة، وعربيات مختلفة. عربية واحدة، لا تكون اللغة الأولى المعتمدة في البلاد أو يتم النطق بها بطريقة محدودة ولكن يتم تدريسها والكتابة بها والترجمة منها وإليها، وعربيات أخرى، وهي العربية التي نتكلمها ونبدأ أيضاً بكتابتها.

□ بدوره طرح الدكتور جرجورة حردان تساؤلات حول «الخلاصات التي وصل إليها الكاتب، ومنها القول إنّ اللغة تختفي من حيث التداول بها والتواصل غيرها مع اختفاء الناطقين بها»، وسأل «ألا تتمتع هذه اللغة بمكانة وجودية خاصة بها بصفاتها نظاماً وظيفياً يمكن للناطقين بها استخدامه ويبقى موجوداً حتى بعد مماتهم؟».

وتطرق إلى التفاوت بين اللغات ومكاناتها، معتبراً أنّ «قيمة اللغات ليست متساوية: فاللغة الإنجليزية تتمتع بقيمة ومكانة أكبر في سوق اللغات مقارنة مع اللهجة اللبنانية، ولكن ألا تؤدي اللهجة اللبنانية بالنسبة إلى اللبنانيين الوظيفة نفسها التي تؤديها اللغة الإنجليزية بالنسبة إلى الناطقين بها؟ إذاً لا تتشابه اللغات من ناحية الوظيفة وتختلف من ناحية الأثر الذي قد تحدثه».

□ وأوضح الدكتور جان جبور أنّ «الكتاب يشكل إضاعة شاملة حول مستقبل اللغات في عصر العولمة، ويسعى لبلورة «علم السياسة اللغوية» الذي يساعدنا في الإجابة على الأسئلة المعقدة التي تطرحها العولمة في جانبها اللغوي»، ولفت إلى أنّ «الكتاب يتضمن دراسة حالات كل من تركيا والاتحاد الأوروبي والأرجنتين وكورسيكا، ليظهر بأن المسألة اللغوية ترتبط ارتباطاً وثيقاً بالوضع السياسي».

وأشار إلى أنّ «تحليل الحالات اللغوية في العالم يبين أنّ اللغات غير متساوية إلى حد كبير»، معتبراً أنّ «العولمة التي تزيد من أعداد شبكات التواصل، تعمق التفاوت بين اللغات، وتعزز وضع اللغة المفرطة في مركزيتها أي الإنكليزية، على حساب اللغات الطرفية».

لمناسبة اليوم العالمي للغة الأم، وصدور الترجمة العربية للكتاب الفرنسي «أي مستقبل للغات؟ الآثار اللغوية للعولمة»، نظمت مؤسسة الفكر العربي بالتعاون مع جامعة القديس يوسف في بيروت، محاضرة بعنوان «أوزان اللغات في العالم وموقع اللغة العربية»، ألقاها مؤلف الكتاب العالم اللغوي الفرنسي البروفسور لويس جان كالفّي، وقدم لها رئيس جامعة القديس يوسف ببيروت البروفسور سليم دكاش، والمدير العام لمؤسسة الفكر العربي البروفسور هنري العويط، وأدار حلقة النقاش التي تلت المحاضرة البروفسور جرجورة حردان الممثل الشخصي لرئيس الجمهورية اللبنانية لدى المنظمة الدولية الفرنكوفونية، ومترجم الكتاب الدكتور جان جبور، وشارك فيها أكاديميون مختصون، ولغويون، وشخصيات ثقافية وتربوية وإعلامية وطلاب جامعات.

□ استهل الندوة البروفسور سليم دكاش فأكد أنّ «لويس جان كالفّي يرصد حالات انحسار وتدقق اللغات، مع قناعة واحدة ألا وهي أنّ كل اللغات لا تتمتع بالقيمة نفسها في «سوق اللغات»، وأنّ العولمة تؤدي إلى تخفيض قيمة بعض اللغات لصالح لغات أخرى، وهذا هو أثر العولمة الرئيسي على اللغات». وإنّ سال دكاش: «ما هو مستقبل اللغة العربية في خضم العولمة الاقتصادية والسوقية؟ وكيف تستعيد حيويتها؟» أكد أنّ «لغتنا تمر بأزمة تكيف وأزمة علائقية مع الحداثة، هي التي كانت في العصور الوسطى لغة العلوم والثقافة»، وأشار إلى أنّ «العربية تعاني من التمايز بين الفصحى والعامية المتداولة يومياً، وبعدها في مسافتها الثقافية عن الحياة اليومية التي يعيشها الناس»، وخلص إلى أنّ «أزمة اللغة العربية هي أزمة هوية الوطن أو العالم العربي غير القادر على التحالف سياسياً، والتعاون اقتصادياً، والإنتاج المشترك لثقافة بشرية وعلمية تتكيف مع زمننا».

□ وتحدث البروفسور هنري العويط عن «المعايير التي يستخدمها العالم اللغوي اللامع لويس-جان كالفّي لقياس أوزان اللغات عامة، ووزن اللغة العربية على وجه الخصوص»، ورأى أنّه «قد لا ينعقد حولها الإجماع، وهي قابلة للمساءلة والمراجعة والنقاش، ولكن دعوني أؤكد أيضاً أنّ قراءة الكتاب الذي تولت مؤسستنا ترجمته إلى العربية، أيا يكن رأيها في محتواه، وأنّ التمتع في السؤال «كيف نحدد موقع اللغة العربية»، الذي اختاره البروفسور كالفّي عنواناً لمحاضرته، أيا يكن موقفنا من الأجوبة التي سيُعطيها، من شأنهما أن يحمالنا على التنصير في ما تثيره أوضاع اللغة العربية من إشكاليات، وما تواجهه لغتنا من تحديات في زمن العولمة».

وأشاد العويط «بالجهود التي تبذلها دول وجامعات ومراكز أبحاث ومجامع لغوية، في خدمة اللغة العربية والناطقين بها»، لافتاً إلى أنّ «مؤسسة الفكر العربي قد أنجزت عدداً من الدراسات، وأطلقت سلسلة من المبادرات والمشاريع، وفي طليعتها التقرير المرجعي «لننهض بلغتنا: مشروع لاستشراف مستقبل اللغة العربية»، ومشروعها الطموح «عربي ٢١»: الإسهام في تطوير تعلم اللغة العربية وتعليمها».

□ وألقى البروفسور لويس جان كالفّي مداخلة معمقة حول «السياسات اللغوية والتدخلات التي تطل اللغة، والعولمة في جانبها اللغوي»، وأشار إلى أنّ «عدد اللغات المتداولة حول العالم يبلغ ٧ آلاف لغة، لكنها متفاوتة من ناحية التوزيع الجغرافي؛ فالإنجليزية مثلاً أو الإسبانية أو الفرنسية تنتشر داخل أوروبا بنسبة ٤٪، لكنها في إفريقيا تستحوذ على ٣٠٪ من اللغات المتداولة و١٥٪ في أمريكا اللاتينية»، ولفّت إلى أنّ «٥٪ من لغات العالم يتداولها ٩٤٪ من سكان العالم، فيما ٩٥٪ الأخرى يتداولها ٦٪ فقط من السكان لذا فهي مهددة بالانقراض»، واضعاً «ترتيب اللغات بحسب عدد الناطقين بها عالمياً، الصينية في المرتبة الأولى تليها الإنجليزية ومن ثم الإسبانية».

وأوضح كالفّي أنّ «المقياس اللغوي الذي يعتمد عليه يتضمن ١٢ عاملاً، بينها عدد المتكلمين للغة (كلغة أم أو كلغة ثانية)، عدد البلدان التي تكون فيها اللغة رسمية أو وطنية، تدفقات الكتب المترجمة من وإلى